

رواية "المواجهة" الحضارية مع الغرب

أ. منصور ي. علي

جامعة الحاج لخضر - باتنة -

كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة الفرنسية

مقدمة

لا يستطيع الإنسان أن يعيش منعزلاً عن الآخرين إذ من طبعه الأخذ والعطاء للمحافظة على النفس واستمرار الجنس.

وأثناء عملية التفاعل هذه يكون الإنسان فكرة أو وجهة نظر عن الآخرين. كما يكون الآخرون عنه فكرة أو وجهة نظر، وهكذا تنتشر تلك الفكرة أو الصورة لدى أفراد هذا الشعب عن شعب آخر خاصة إذا كان من الشعوب المتخاررة جغرافياً، وهكذا هو حال شعوب العالم العربي في علاقتها مع الشعوب الأوروبية خاصة وشعوب الكرة الأرضية عامة.

وقد تكون فكرة شعب عن غيره من الشعوب واقعية إلى حد ما أو بعيدة عن الواقع، وقد تكون خيالية جداً أو مناقضة للواقع " وبالرغم من ذلك لم تهتم الدراسات الإنسانية بهذه القضية حتى القرن التاسع عشر (19) حيث بدأت الأسوار الفكرية المحيطة بالشعوب تتهاوى، وصار المفكرون ينظرون في مختلف الاتجاهات"¹

وجدت الشعوب نفسها في مواجهة الواقع وتحتم عليها التعامل مع بعضها نتيجة الاهتمام المتبادل بينها بغض النظر عن نوعية الاهتمام.

العوامل المساعدة على تكوين صور الشعوب لبعضها البعض:

1- الرحلات: فالذين يسافرون خارج بلادهم، يعودون ومعهم أخبار ونوادير وحكايات، وانطباعات يحكونها لمعارفهم، وأحياناً يسجلون مذكراتهم أو وصف لمشاهداتهم. إن رحلات الأدباء من أهم هذه الوسائل فالأدباء عادة يحبون التجوال في الأقطار والبلدان المختلفة، ويشاهدون على الطبيعة عادات وتقاليد تلك الشعوب وكذا المناظر الطبيعية المختلفة والأمتلة كثيرة من هذا المجال (أندريه جيد في بلدان شمال إفريقيا، أرنتس هيمنجواي زار العديد من دول العالم بل زار أدغال إفريقيا فولتير زار القدس)

2- **الكتيب**: ثمة سلاسل كتب في العديد من الدول هدفها إعطاء صورة عن دول

العالم وكثير من الكتاب اشتهروا بكتبتهم حول مختلف الأقطار.

3- **الحرب**: وقد كانت قديما من أهم الوسائل - رغم فظاعتها فقد حكى الجزائريون

الذين شاركوا في الحربين العالميتين عن فرنسا وإيطاليا وألمانيا، وكم حكى الجزائريون عن الهند الصينية عندما جندتهم فرنسا بخارية الفيتناميين.

4- **الوسائل السمعية البصرية**: وهناك وسائل أخرى عصرية سارعت في نشر

الصور المتبادلة بين الشعوب: الصحف، المجلات، المنشورات، الإذاعات والمراكز الثقافية، السينما، الإنترنت، وأخيرا القنوات الفضائية كوسيلة ثورية من آخر طراز، ومنه فإن " العالم قرية صغيرة" مقولة صحيحة.

5- **فرض الوجود بالقوة**: الاستعمار بمعنى آخر كما فعلت فرنسا في شمال إفريقيا

وبريطانيا في الشرق الأوسط، فيما يتعلق بالمنطقة العربية، دون الحديث عن الشعوب الأخرى التي استعمرتها هاتان الدولتان.

اللقاء مع الآخر في الوطن: لقد دخل الاستعمار الفرنسي دول الشمال الإفريقي

(الجزائر، تونس، المغرب) بالقوة وفرض نفسه على شعوب المنطقة، وبذلك لم يكونوا له صورة حسب الوسائل السالفة ذكرها، بل تكونت الصورة لديهم من خلال الاحتكاك اليومي والمعاشة والتجربة.

ولا شك أن الصورة المبنية على المعاشة اليومية والتجربة والممارسة، اشم وأوضح

وأقرب إلى الواقع.

ومعنى ذلك أن " صورة " الآخر تختلف عن الصور الأخرى لأنها تكونت بواسطة

المعاشة والاحتكاك اليومي، وبالتالي فالمرجح أنها ستكون واضحة من كلا الجانبين.

ذلك أن الفرنسيين عاشوا المغاربة، وتعاملوا معهم في الإدارة والتجارة، بل

جاورهم في المسكن واختلطوا بهم اختلاطاً مباشراً مثل اختلاط الطلاب فرنسيين ومغاربة في النظام الداخلي في المدارس الثانوية، وبعد ذلك في الجامعات... الخ.

إن الفرنسيين كانوا يعتبرون المغرب (وخاصة الجزائر) جزءا من فرنسا ذاتها لذلك

عاشوا فيها على أنها أرضهم، واعتبروا سكانها الأصليين جنسا أدنى لا بد أن يرتفع إذا أراد أن يكون مندجاً له نفس الحقوق.

ومع اختلاف النظرة وتعددتها - ففي موضوعنا ، وخاصة في علاقتنا بدول المتروبول *métropole* تكون المعادلة كالتالي: مجموعة دول متقدمة تتصور دولا متخلفة ضعيفة - كانت مستعمرة من قبل - تنظر إليهما من علي، تحترق أفرادها، ولقد كانت فرنسا تدعي أن مهمتها في المغرب (وفي الجزائر خاصة) هي تمدين هذا الشعب " المتوحش"، " هل تظنين بأنهم بشر مثلنا؟ ... فلأنهم متوحشون حاولت فرنسا رفعهم إلى مستوى الحضارة، ولكن لا يمكن أن نحول الوحش إلى إنسان ... هذا ما لم تدركه فرنسا"².

هكذا خاطبت " ماري" صديقتها " لينا" عند حديثهما عن " أحمد" الجزائري المغترب في فرنسا وعن الشعب الجزائري في رواية "المرفوضون" ولا يخفى على أحد مدى الحوة السحيقة التي خلقها الواحد الاستعماري في المشرق الأوسط وشمال إفريقيا ولكن بدرجات متفاوتة " الجزائر نموذجاً".

ولكن بعد الحصار الاستعماري الأوربي نتيجة النضال الذي قامت به شعوب المنطقتين أدى إلى ظهور وضع جديد تجلّى في المحاولات النهضوية " القومية" والقطرية. ولا شك أن تجربتنا مع أوروبا، التي مرت بمراحل عدة، منذ الحروب الصليبية، فمصور الاستعمار حتى تجربتنا الحضارية الحالية، تشكل جانباً بارزاً في كثير من الأحيان من تاريخ التجربة الحضارية في منطقة المتوسط والشرق الأوسط.

يشهد على حيوية هذه التجربة ما تركته من بصمات على حياتنا في كثير من مجالاتنا - الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية في بعض الأحيان - وما تركته أيضاً من آثار تعد اليوم معالم بارزة في مجال الإنتاج الفكري والأدبي (شمال إفريقيا نموذجاً: اللغة الفرنسية الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية. هل هو أدب مغربي أم أدب فرنسي؟ إشكالية مازالت مطروحة...) نمط التفكير السائد، نمط الاستهلاك ... الخ - كما سنرى بعد حين -.

مع العلم أن " زوال الاستعمار، بشكلك الاستيطاني والإحتلالي المباشر، لا يغير كثيراً من طبيعة العلاقات بين المستعمر السابق والمستعمر السابق"³ فالذكريات ما تريح حية دامية محرقة، والمشاعر ما تزال متأججة، والاستغلال الاقتصادي الجديد وغير المباشر ما يفتأ يقوم بنفس دور الاسترقاق الكولونيالي المباشر، وحتى الآن لم تستطع نداءات النظام العالمي الجديد أن " تذيب رغبة الصراع بين الحضارات"⁴.

يكسب موضوع المواجهة مع الآخر خصوصية وحساسية في مطلقنا العربية لأن الأمر لم يتوقف عند رغبة اللحاق بالتطور التقني بل إن الرغبة الكامنة هي آماني التفوق واستعادة الريادة الحضارية.

إن الأمة المستعمرة سابقا ما تزال بفعل عملية: المتابعة "acculturation"، أي استيراد ثقافة المتيروبول محاولة منها اللحاق بالركب الحضاري ومحاولات اقتفاء النموذج الأوربي، حينما تحس هذه الأمة بدونيتها إزاء ثقافة الغرب. وهذا ما يولد لدى أفرادها الشعور "باخصاء" الفكرية مقابل "اخصاء الجنسي" - كما سترى بعد حين عند الحديث عن تجنيس العلاقات الحضارية- "sexualisation des relations" "civilisationnelle".

في الذاكرة العربية ترتطم هموم ثقافية وحضارية شالكة ذات تفرعات عدة أساسها تحليل نوعية العلاقات التي تشدنا إلى ما يسمى في القاموس السوسولوجي بالمتروبول métropole أو العالم الغربي (الاستعمار الفرنسي، والإنجليزي) بكل ما في هذه الكلمة من حساسيات وحزازات أملت ممارستها وظروف تعريفها الدولة التي وقعت تحت نير الحضور الكولونيالي- ولكن بدرجات متفاوتة -.

إن معرفة نوعية هذه العلاقات أو على الأقل صفاتها ومميزاتها تساعد على هيكلة الفكر الوطني - في الدول الخاضعة للاستعمار - وتوضيحه من ناحية الحضور الاستعماري، ومدى انعكاساته، سلبية كانت أم إيجابية على المستقبل والوعي الوطني.

ولقد تشكل هذا التواجد الثقافي في حياتنا ممارسة وسلوكا، مما جعل الطبقات المثقفة تقع في تناقضات أهمها: الاحتواء الحضاري والنفسي وبالتالي الأيديولوجي، وكذلك الانبهار غير المبرر أحيانا إلا كتعبير عن العجز الذاتي مما أدى إلى التفكير في ربط آليات التطور المادي والفكري في مجتمعاتنا احيطة "Périphérique" بالمركز المتروبولي الذي يتجسد في أشكال ثقافية هشة وغير أصلية وتقنيات زئبقية غير ثابتة تحاول تقليد النموذج الغربي ولكنها تفشل.

ولقد وعى المثقف العربي حساسية العلاقات مع الغرب وأهمية ارتباطها بالواقع العربي، فبلور هذه النظريات التقييمية من خلال أعمال فكرية سواء كانت نقدا أو مسرحا أو رواية.

والغالب على هذه المواقف هو استلهاهم قيم ومثل الغرب لتضيء سليات الواقع العربي المتخلف، وبالتالي اعتبار المربول قارب النجاة.

وموضوع المواجهة الحضارية شغل المثقفين العرب ولا سيما العصر الحديث منذ اصطدام الذات بالأحر الاستعماري، إلا أن طريقة التفكير ووسائل المواجهة قد تباينت تبعاً لمستجدات الأمور، فالموضوع وتناوله في عهد الاستعمار اختلف عنه في بداية الاستقلال. ثم تطورت بتوجهات أخرى مع ثمانينات وتسعينات القرن العشرين.³

إن لقاء الشرق والغرب في الرواية العربية خصوصاً وعند المثقف العربي عموماً يتنوع بتنوع الأقطار والأوطان، التي ينحدرون منها ومدى الوعي الذي يتمتع به هذا أو ذلك، وطالما أن الغرب نموذج قابل للاستلها " والانهار " فإن النظرة الأولى لكتاب الرواية العربية كانت " مثالية " ترى في العواصم المربولية مجالاً لاستيحاء بعض القيم الإنسانية العامة: حقوق الإنسان، الديمقراطية، الفن، الحرية، المتابعة ... الخ

إن الرواية كتوع أدبي جامع لكثير من التأثيرات نتيجة لحجمها أولاً، ولتتمتعها بإمكانيات كثيرة - كالسرد والوصف والحوار والتحليل - هي أقدر الأنواع الأدبية على عرض أوضح الصور عن شعب ما، وليس معنى ذلك أن سائر الأشكال الأدبية خالية من صور الشعوب عن بعضها البعض، بل إننا نجد في بعض الأحيان أشكالاً أدبية - غير الرواية - زاخرة بالصور كالشعر والقصة والمسرح.

ولقد اصطلاح على تسمية " الأدب " ومنه الرواية الذي يتناول بالعرض والمعالجة " كنه الشخصية الإنسانية، كنه الإنسان في التاريخ، وكنه الإنسان في مجتمعه، وكنه الإنسان في مجتمع غير مجتمعه"⁴

العلاقات الحضارية:

اللقاء مع الآخر خارج الوطن: وتشكل الرواية العربية التي تدور أحداثها في أوروبا الغربية - أولاً - والشرقية - بعد ذلك -، أو التي تدور أحداثها في الوطن العربي وأبطالها أجانب - كما سنرى - فلت تشكل إسهاماً مهماً في حقل الرواية الحضارية التي تكون العلاقات الإنسانية بين الشرق والغرب ممثلة في أبطالها وشخصياتها وهي بمعنى من المعاني تعبر عن وعي الذات ووعي العالم أو تكوين فكرة عن - الآخر - الأوربي والاتصال به.

هذه المسألة قديمة العهد لدى مفكري وأدباء سائر الشعوب وهي لا تفنأ تتوالد وتتعقد، وقد كانت الرواية - كما أسلفنا - مجلى أدبيا رئيسا لتلك المسألة.

وبالنسبة للرواية العربية، ومنذ محاولاتها الخيبية سعت كي تكون مجالاً لتلك الظاهرة بما تعنيه من استيحاء لأوروبا، وهكذا تتابع إنتاج الطغيطاوي، وعلي مبارك، وفرح انطون، ومحمد المويلحي ... ذلك الإنتاج الذي يميل أكثر إلى ما يسمى بأدب الرحلة ولكنه مع ذلك يحمل بذور الصورة الأولى للأخر الأوروي.

أما في النقلة الأساسية التالية بالنسبة للرواية العربية مع قدوم هذا القرن وبدء "الدخول العربي في العصر الأوروي" ⁷ بدأت محاولات الكتاب الخيثة لترسيخ وتطوير هذا الجنس الأدبي الوافد، ولم ينتظر الكتاب طويلاً لطرق موضوع "الأخر" وهو هنا الأوروي فباسم ثقافة الغرب وحضارته المتطورة علمياً تار "حامد في رواية زينب" لهيكل - أول رواية عربية فنية - على الواقع المصري-البحلي - وهو الشاب الذي ابتلعه أضواء أوروبا ومدنيتها، بينما يحرم عليه مجتمعه التحديق في وجه امرأة.

وباسم ثقافة الغرب وعلمه الطيبة واجه "إسماعيل" في رواية "قنديل أم هاشم" ليحيى حقي مجتمعه الريفي ورفض الممارسات السائدة فيه، والروايات التي تناول هذا الموضوع كثيرة ومتنوعة (عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم، قنديل أم هاشم ليحيى حقي، أديب لطف حسين، الخي اللاتيني لسهيل إدريس، الأشجار واعتقال مرزوق لعدو الرحمن منيف)، موسم الهجرة إلى الشمال للطبيب صالح، هامل "محمد ذيب"، نيويورك "ليوسف إدريس"، الربيع والخريف "لحنا منه" ... الخ)، من المعارف عليه أن "توفيق الحكيم" أول من عالج موضوع الشرق والغرب روائياً في روايته "عصفور من الشرق" بحيث يجعل بطله "محسن" ينتقل إلى باريس للدراسة، لكن هناك باحثاً آخر يرى غير ذلك ويقول: "من البدايات المجهولة" السابقة على ذلك والتي عكست خط الرحلة في الوقت الذي كان توفيق الحكيم يقدم فيه "عصفور من الشرق" تأتي قصة "النداء البعيد، لأحمد عكي، دار المكشوف، بيروت 1939، حيث يأتي الآخر "سلفينا الفرنسية السانحة، ويستحيل اللقاء

بسبب الأهل" لا ننسى أن القصة قد تناولت موضوع: العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب مع ملاحظة أن "قواد الشايب" أول من عالج الموضوع قصصياً⁹، فقد ضمت مجموعته "تاريخ جرح" أقصوستين "من وحي باريس" هما "أحلام بولاند" و "الشرق شرق"

جرح "أقصوستان" من وحي باريس" هما "أحلام يولاند" و "الشرق شرق" وحسب نفس الكاتب فإنه يمكن تحديد تاريخ المجموعة عام 1944 وأن مؤلفها "فزااد الشاب" في تقديمه لها يذكر أن قصصها جرت في روعي وحياتي وتحت قلبي بين أعوام 1930 و 1940، وليس هدفنا هنا البحث عن أسقية الرواية على القصة أو القصة على الرواية في موضوع العلاقة بين الشرق والغرب، ولكن للإشارة إلى تعدد الأنواع الأدبية التي تناولت الموضوع.

حملت الكثير من الأعمال الروائية العربية، هم العلاقة المباشرة بالغرب، والاحتكاك الحضاري هنا يأخذ شكلا واقعيًا.

وتشارك الروايات الأولى في كون "البطل" طالب عربي، يعيش في أوروبا طلبا للعلم، بمعنى السفر للدراسة، وإن اختلفت الآثار التي يولدها السفر، من رواية لأخرى، نعا للظرف المعقد الذي يحمله بطل الرواية معه في إقامته القصيرة عادة في الخارج.

الرواية المغاربية والعلاقة مع الغرب: يمكن للمدقق أن يلاحظ أن الرواية في شمال إفريقيا وإن اختلفت نوعا ما عن الظهور من الناحية الزمنية فإنها لا تخل رواية واحدة تقريبا من تجسيدها لفكرة العلاقة الحضارية بحكم الاحتكاك المباشر مع الآخر (فرنسا) في الوطن الأم أولا ثم في العاصمة التروبولية بعد الاستقلال أثناء هجرة "المغاربية" إلى الدولة الاستعمارية سابقا للعمل بفعل الفقر والاحتياج وكان ذلك أولا في الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية كما في رواية: "الأرض والدم" لمولود فرعون حيث: ماري marie زوجة (عامر) العامل الجزائري بفرنسا تزوجها ثم اصططحها إلى الجزائر إلى قرية نانية في منطقة القبائل الكبرى ودخلت القرية البنية مبتسمة وكأنها ملكة تدخل مدينة، أثارت شفقة القبائليات على عامر وأثارت إعجابهن أيضا فهي تختلف عنهن بحماها ودقة ملامحها وناسقتها وصفاء بشرتها ووجهها الزاهي الألوان ورقة يدها وتنوعية ملابسها، فهي لا تعتبر أجنبية فحسب لأنها من عالم آخر يختلف عن عالمهن وأعجبت (ماري) بالطبيعة المحيطة بالقرية وأسرعت لتتعم بما فلبست ملابس خفيفة وخرجت مع زوجها إلى الحقول. تتذكر بلدها فرنسا وتحن إليها، ولكن الحقيقة والواقع يجذبانها إلى الحياة الهادئة والطمأنينة والاحترام والتقدير الذي تنعم به فتحمد الله على الشعور بالإنسانية التي وجدتها مع زوجها في تلك القرية النانية وبين أولئك الناس القانعين بتصرهم ولم تجدها في بلدها فرنسا بل وفي

باريس مدينة العلم والنور، هكذا يقول السرد الروائي وحتى بعد وفاة زوجها قررت "ماري" البقاء مع أهل زوجها وأهل "القرية بين أولئك الناس الذين وهبوا الطمأنينة والاحترام."¹¹

ولدينا أمثلة كثيرة على وجود العلاقات الحضارية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية لدى أغلب كتابها، فمثلا شخصية المثقف لدى مالك حداد. سأهيك غزالة: جان دوروك، الأفيون والعصا لمولود معمري، اوير الرب في بلاد البرير محمد ديب وهكذا لدى كاتب ياسين في (حُمة) شخصية مارسيل المعلمة.

لقد استطاع الباحث "عبد المجيد حنون" في رسالته للمجستير "صورة الفرنسي في الرواية المغربية" أن يلم بالموضوع من جميع جوانبه، وتناول بالدرس والتحليل الشخصيات الفرنسية كما تمثلها الروايات المغاربية (الجزائر، تونس، المغرب) المكتوبة بالفرنسية والعربية فحصلنا على:

شخصية: الحاكم، القاضي، الجندي، رجل الأمن، الممرضة، رجل التعليم، الفتاة، التاجر. (زوجة المغربي، شخصية المثقف، الطيب... الخ.

ولنا بعد ذلك في الإنتاج الروائي الجزائري (المكتوب بالعربية) نماذج أخرى تناول شخصية الأجنبي وخاصة الفرنسي (اللاز) للظاهر وطار- (الضابط)، وفرانسواز في رواية "هالاتذروه الرياح" لعرعار محمد العالي، و"ماري وجان ولينا وسوزان..." في رواية "المرفوضون" التي تدور أحداثها في فرنسا وليس في الجزائر والقصة التونسية في فترة ما قبل الاستقلال لم تخل بدورها من هذا الموضوع مع قلة النماذج التي تناولته واختلاف مستوى المعالجة بين كاتب وآخر¹¹.

ولعل خير من يمثل هذا الموضوع ثلاث قصص هي: ثمن نجد لتوفيق بوغدير والشغيف لفرید غازي والرماد لمحمد لعربي. والقصة الأولى عبارة عن قصة حب رومانسي بطلا القصة رسام عربي وممرضة غربية، والرواية العربية المغربية لا تضم كلها شخصيات (فرنسية) ولكن نجد في بعضها إشارات عابرة وقليلة وخير من يمثل ذلك رواية (دفا الماضي) لعبد الكريم غلاب ورواية (المعلم علي) لنفس الكاتب ورواية (يامر) لأحمد زياد ورواية (الماضي البسيط) لإدریس الشرايبي.¹²

إن عملية المناقشة بافتراضها وجود طرفين: موجب وسالب، فاعل ومنفعل، ملقح وملقح، تطرح نفسها كعملية ذات حدين مذكر ومؤنث، والثقافة الحديثة ثقافة ذكور ومن هنا فالمناقشة " لا تركز في الطرف الملقى - وهو هنا الشرقي العربي - إحساس بالدونية المؤنثة بقدر ما تبعث فيه شعورا مرهقا بالخصاء الفكري"¹³

يخامر متقف المستعمرة السابقة شعور مرهق بالرجولة هو بأمس الحاجة إليها إزاء سيادة الثقافة المتروبولية، يعود هذا المتقف إلى الماضي الثقافي لأمنته فيحده ضعفا غير كاف لمقارعة الثقافة الغربية، وهذا بحذ ذاته لا يمكن المتقف الشرقي أن يسترد اعتباره كرجل في نظر نفسه، والأدهى من ذلك أنه بأمس الحاجة إلى أن يستعيد رجولته في نظر الطرف الفاعل في عملية المناقشة بوصفها " علاقة تحد وسيطرة وعنف وحتى اغتصاب "¹⁴

وليس من قبيل المصادفة أن تكون جميع الروايات العربية - الأولى على الأقل - التي عاجت قضية العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب ابتداء من عصفور من الشرق وحرورا بالخي اللاتيني لسهيل إدريس ووصولاً إلى موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح. قد اختارت إطاراً مكانياً لها باريس ولندن أي بالتحديد عاصمتي الدولتين المتروبوليتين السابقتين، فكان الغرب ليس غرباً إلا في هاتين العاصمتين، وكان الشرقي ليس شرقياً إلا فيهما، وكان لا معنى للتحدي في غيرهما، يصدق هذا على روايات المراحل الأولى أما المراحل اللاحقة فقد تطورت الأمور وتغيرت الحواضر والعواصم (نجر - روسيا - النمسا - أمريكا - السويد - الدانمرك، ... الخ) وفي إسرائيل كما في رواية سمح القاسم (إلى الجحيم أيها الليلك).

بطل رواية الصدام الحضاري:

ثمة ملاحظة أخرى ستدعي الانتباه في هذه الروايات " الحضارية " وهي أن أبطالها في غالبيتهم من المتقفين - في المشرق خاصة - الذين قدموا للغرب طلباً للعلم أو الأدب أو الفن " وكل رواية هي بمثابة تجربة ذاتية، مع ملاحظة أن روايات المراحل اللاحقة أبطالها مثقفون هربوا من أوطانهم بحثاً عن الأمان والحرية وخوفاً من قبضة السلطان مثل: "الاستبداد الشرقي" كما في رواية " شرق المتوسط " لعبد الرحمن منيف وهنا وفي مثل هذه الروايات تتغير النظرة ويبدل الحضور في هذه العاصمة أو تلك من أوروبا والعالم ويمكن

بعدها أن تصبح مكانا لممارسة النضال ضد الظلم والاستبداد. الممارس من طرف الأنظمة العربية، (رجب في شرق المتوسط) لعبد الرحمن منيف.

إن المثقف الآتي من المجتمع الكولونيالي يصدق أولا لعبة "المنافسة" المتروبولية. يؤخذ بها. ويسلم بمناطقها بمعنى انه يعترف " بتجسس العلاقات الحضارية " **sexualisation** **des relations civilisationelle** " ويقبل لا شعوريا على الأقل، بأن يقيم علاقة تساو وتجانس بين الثقافة والرجولة، وتصبح الثقافة بعدها رجولة والرجولة ثقافة، فأحاساسه بالحصاء الثقافي لا يزيد إلا تشبها بذكورته.

وكان لتسليمه بذلك رد فعل على سلوكاته في احاضرة المتروبولية ذلك أنه - حسب رأيه أي المثقف الشرقي - فالعلاقات بين الأمم والحضارات هي كالعلاقة القائمة بين الرجل والمرأة: علاقة قوة وتحكم وسيطرة، وبالتالي استسلام ورضوخ ومعاناة، ومن هنا فقد تبين التصور المتروبولي القائل بأن المنافسة مجاعة.

وطالما أن الأمور تسير على هذا المنوال فإنه يشعر بدور " المتفعل " وليس " الفاعل " في عملية المنافسة طبعاً فيشعر بطعنة في صميم رجولته. ومن هنا فإنه حين تتاح له الفرصة للرد، فلن يرد كمتثقف وإنما كذكر " مصطفى سعيد في رواية موسم الحجرة إلى الشمال للطيب صالح مثالا، " " مصطفى سعيد يا حضرات الخلفين إنسان نبيل استوعب عقله حضارة الغرب، لكنها حطمت قلبه...¹⁵ هكذا خاطب البروفسور " ماكسويل فستركين " الخلفين دفاعاً عن " مصطفى سعيد " وهو منهم بقتل فتاتين، وترتكز رواية " عصافير من الشرق " لتوفيق الحكيم حول علاقيتين:

- العلاقة مع الفتاة الفرنسية " سوزي دييون " حيث يسمح مفهوم هذه العلاقة بإحساء مفهوم العلاقة مع المرأة والمنظور الذي يحدد رؤية المرأة العربية.

- العلاقة مع العامل الروسي " ايغان " التي تسمح للبطل بتوضيح مفهومه للغرب والشرق.

إن أول ما يستوقف النظر في هذه الرواية هو الغياب الكبير للشعور بالقيود الاستعماري ذلك أن الكاتب لا تربطه بفرنسا روابط استعمارية مباشرة ما عدا إتقانه اللغة الفرنسية ومرور فرنسا الكولونيالي بمصر قصر المدى، ولعل من الأمور المثيرة للدهشة والاستعراب أن محاولات الرواد بداية من رحلة رفاعة الطهطاوي وعصافير من الشرق

لتوفيق الحكيم وصولاً إلى أخي اللاتيني لسهيّل إدريس وأديب طه حسين وقنديل أم هاشم ليحيى حتى لم تتعرض للمواجهة الحضارية من منظور المستعمر والمستعمرعلما بأن دول المنطقة وقتها لم تحصل على استقلالها ولعل السر في ذلك أن أبطال تلك الروايات " ذهبوا إلى أوروبا طلباً للعلم ومن هنا احتفى موضوع العدا المباشرة للمستعمر واستبدل بموضوع الدهشة بمظاهر الحضارة والتطور العلمي ..."¹⁶

ومن هنا يمكن إعطاء عنوان آخر لهذه الرواية لتعبر عما ترمز إليه في إطار العلاقات الحضارية بـ: هجاء الغرب بتأنيته. يقول الراوي: " لقد فهم الشرق أن فضائه ليست إلا غانية خليعة، لا قلب لها ولا ضمير، وليست لها أية قيمة روحية ولا خلقية، وإن عالمها السقوط، ممزقة الجسد ... الذي تشرق نوافذه من جهة على المحيط الأطلنطي ومن الجهة الأخرى على البحر الأسود"¹⁷

المنظرة إلى المرأة الغربية في عصفور من الشرق:

إن " سوزي " هي حيز ليسقط فيه الفنان أحلامه، لا يتحرك ولا يتفعل إلا بقدر حجم الموجة التي يظلمها القطب " محسن " لقد رسم لها صورة مثالية في مخيلته وأراد أن يحافظ على هذه الصورة نقية كما هي، لقد وضعها موضع " الملكة " ولذلك كان مثل هذه التصورات والشطحات ما فوق الواقعية ردود أفعال ساحرة من طرف الآخرين، وحتى من قبل صديقيه: جارمان وأندري.

" أهذه المرأة في باريس؟ أم في كتاب ألف ليلة وليلة؟ تقول جارمان وهذا أندري يقول بدوره: وهذا الشباك أين هو؟ في أي قصر سحري؟ " يقصد شباك المسرح الذي تباع فيه " سوزي " التذاكر، إن " محسن " لا يعشق قاطعة تذاكر إذن، وإنما هو يهيم بملكة، ملكة تقيم في قصر ليس له شبه حتى في قصور ألف ليلة وليلة. تقيم في عقل " محسن " وفي مخيلته، ملكة لا سبيل إلى عقارتها بأي امرأة موجودة في الأرض. بل لا سبيل حتى إلى الاتصال بها، لأن محسن يريد أن يتألم بهذا الحب وما وقوفه أمام تمثال " الفرد دي موسيه " تحت المطر الغزير في الوقت الذي لجأ الناس فيه إلى مظلات. المشارب والحوانيت ومداحل المترو " ومحسن " هو الآدمي الوحيد الذي بقي تحت المطر يتأمل العبارة المنقوشة تحت التمثال " لا شيء يجعلنا عظماء غير الألم العظيم "¹⁸. إنه يبحث عن الفرد ويتلذذ به، إنه يبحث عن

الألم، والألم في الحجر والبعد وليس في الوصل واللقاء لذا كان يتميز أن تظل سوزي صامتة.

فلاحتكاك هنا هو احتكاك من الخارج يرسم إطاراته داخليا إنه الملامسة وليس الاندماج.

وحضور المرأة حضور حضاري، والتناقض الحضاري مع المرأة الغربية. هو تناقض يتكثف حول نقطة واحدة فإحوار معها حوار مستحيل، والعلاقة بالتالي علاقة استحالة يفرزها عدم القدرة على رسم إمكانية حوار متوازن، وإمكانية صراع متكافئ، فعند ما علم محسن بخيانة سوزي له واستهوانها لحبه يخرج من المطعم الذي جمعهما، ويكتب الحكيم: " وعسى على عجل" دون أن ينظر إليها، ويخرج من المطعم خروج آدم من الجنة! ...¹⁹.

الشرق حاضر في الرواية، حاضر في " السيدة زينب " التي كتب الحكيم إهداء روايته لها: " إلى حاميتي الطاهرة السيدة زينب " ²⁰

وهو حاضر في الحلم النبوي هذا الحضور ينبع أساسا من مسألة العلاقة بالغرب المادي، والذي يطرح المسألة هو " ايفان " العامل اليأس من حضارة الغرب وفي نفسه حرقه لأنه يود زيارة الشرق قبل أن يموت، لكنه مات قبل أن يراه لأن الشرق الذي يحلم به تلوث بحضارة الغرب الزاحفة إليه.

فمحسن وايفان يصيغان نظرة متكاملة لعلاقة الشرق بالغرب فلتستمع إلى نظرة ايفان حول الشرق: " ... ولماذا السرعة؟ ولماذا توفير الوقت؟ ما حظنا من سرعة التيار واندفاعه إلى البحر؟ إنما حظنا الأكبر في التمهّل حول الأعشاب النابتة، لقد خسرتنا تلك الرحلات الطويلة على ظهور الجياد والإبل ... نعم بالطبيعة، نعم كسبنا السرعة وخسرنا ثروة النفس التي تنمو باتصالها المباشر بالطبيعة" ²¹

إن مصيبة الغرب في صناعته الحديثة * لنلاحظ كيف أصبحت الأمور مقلوبة * وبمعنى آخر يجب على الشرق أن يتخلى عن أعظم إنجاز وأروع فتح في تاريخ البشرية أي الصناعة الحديثة كي يرضى عنه ايفان ومن ورائه توفيق الحكيم إنما نظرة رجعية بكل المقاييس ومن كل الجوانب وخلاصة نظرة الحكيم إلى العلاقة الحضارية مع أوروبا يمكن إنجازها في جعل بطله محسن يسارع إلى الانتعاف حول أفكار ايفان وتحليلاته الكونية ويدمج فكرته هو معه ليصبح التطابق كاملا بينهما فإذا كان ايفان يشبه أوروبا بغناة شعراء جميلة

إذ أن "... آسيا وإفريقيا ارتبطتا بالزواج في طور من أطوار التاريخ، وأنجبتا مولودا جديدا: هذه الفتاة الشقراء التي تسمى أوروبا" رشيقة ذكية، لكن خفيفة أنانية لا تعيها إلا نفسها واستعداد غيرها²². ولا تسمح للناس إلا أن يعيشوا في عالم واحد فإن "محسن" يسارع على الفور في احتضان هذا الرأي موحدا بين أوروبا "وسوزي" المرأة.

"نعم أنانية لا تعرف غير حياة الواقع، ولا يجمعها شقاء الغير ولا تحب الحياة إلا في.... الحياة"²³

نعم إنه ذنب أوروبا، وسوزي، والمرأة "لا تحب الحياة إلا في... الحياة" بينما لا يُحب محسن الحياة إلا في ما وراء الحياة! هذا الهرب الدائم من الحياة، من حقيقة سوزي إلى تمثالها من المرأة إلى شيخ المرأة يجد تبرجه في هرب إيفان، ومن ورائه محسن (ومن ورائهما الحكيم) من أوروبا الواقع إلى شرق الأحلام...

المرأة الغربية في الحي اللاتيني: تطرح رواية سهيل إدريس المسألة من زاوية

ثانية فهي تحيرنا بقصة طالب لبناني ذهب إلى باريس للدراسة ورغم أن البطل شاعر، إلا أن أهم الغنى ليس في المقدمة، بل أهم الرئيسي كما يظهر من الرواية هو القضية القومية.

تنتقل الرواية من تفاصيل رحلة الشاعر إلى باريس بالسفينة ونعرف أنه يريد التخلص من ماضيه كما نقف على عواطفه تجاه أهله وبلاده، والتخلص من ماضيه ينبع أساسا من شعوره بالغيرة عن هذا المجتمع، منطلقات الرحلة هذه يحكمها في فترة إقامته الأولى إلى باريس حاجة ماسة إلى المرأة الغربية. ومن هنا فإن بطل الحي اللاتيني لم يقصد باريس بصفيتها عاصمة النور، وإنما بصفيتها عاصمة المرأة، يقول مخاطبا نفسه: "تبحث عنها... عن المرأة تلك هي الحقيقة التي تنساها، بل تتجاهلها، لقد أتيت إلى باريس من أجلها"²⁴.

يفشل في الاتصال بالمرأة الغربية عدة مرات بطريقة مخزية فالأولى لم تأبه لموعده، والثانية سرقت دراهمه، والثالثة تخلصت منه بسرعة.

أما العلاقة "بجانين" الفتاة الفرنسية فهي علاقة مضطربة لأنها تتعلق به بعد اكتشاف خيانة حبيبها ها (نلاحظ هنا التشابه مع محسن وسوزي في عصفور من الشرق) تبحث عن الحب والعمل، وشاب ضائع في زوايا باريس وشوارعها يبحث عن إرواء عطشه الجنسي، وعيناه مشدودتان إلى العودة.

يتعرض البطل بعدها إلى نوعين من الضغوط: الضغط الأول تفرضه عائلته بعد أن اكتشفت سر علاقته بجانين، فهي تريد قطع العلاقة، ولا تريد الاعتراف بالطفل الذي حبلت به الفتاة الفرنسية، والضغط الثاني تقارسه "جانين" فهي تبلغه أنها حبلت منه، وتسال رأيه في مصر الطفل، والحل الذي يختاره هو أسهل الحلول فهو يخضع لضغط عائلته، ويكتب إليها رسالة يرفض فيها الاعتراف بأبوته للطفل، ويعلم بطريق الصدفة أن صديقه أصبحت فتاة هوى، فيستيقظ ضميره ويعرض عليها الزواج لكنها ترفض العرض، لأنها في الحضيض وهو في القمة حياتها انتهت وحياته لا تزال في بدايتها، وهو يرسم مستقبلا نضاليا هاما لنفسه، فهو متفاد إلى النضال في سبل قضيته القومية، ويريد توظيف دراسته ومستواه العلمي في هذا السبيل، لذا حين يعود إلى بلاده فإنه يصالح واقعه من منظور "ثوري" فيري رفيق نضاله قبل أن يرى والدته... فكيف يظهر الغرب من خلال هذه الرواية؟

يظهر بمظهر المتحرر جنسيا فالبطل لا يرى الغرب إلا من خلال المرأة، وبعد المرأة يرى الشعر والفن والمسرح. لكن المرأة هي القضية الأساسية، فهو يعالج كينته بالعلاقة معها. البحث عن العلاقة هي أول ما يطالعنا في الرواية، هذا البحث رغم فشله المتتالي لا يستقر إلا عندما يجد المرأة التي تأنس إليه وتقبله، وتصيح بعدها أساس كل معاملاته فيصبح للقاءات مع صديقه "فؤاد" معنى ويتناقش معه حول المموم السياسية والقومية، وحول تخلف بلادهم الثقافي.

إن اللقاء بالفتاة الفرنسية يحمل "أزمة" الالتقاء بالغرب هذه الأزمة التي تحملها "أمه" دائما وتذكره بها.

تلعب الأم في الرواية دورا مزدوجا، فهي أم حقيقية تحب ابنها وتقيم معه علاقة عاطفية عادية، غير أنها في الجهة المقابلة تحمل على كاهلها جميع العادات والتقاليد فتصبح في هذه الحالة رمزا هاما.

وهي ضمير "البطل" الذي يربطه بأسلوب حياة بلاده، هي التي تصر على تزويجه، وضغطها عليه هو العامل الحاسم الذي يدعوه إلى فلك ارتباطه بجانين، والأم كذلك هي المرأة الشرقية، هي صديقه التي تركتها في بيروت.

ما يلاحظ على هذه الرواية هي تعاملها مع الغرب بنوع من "الهدوء" الذي ساد أيضا رواية الحكيم "عصفور من الشرق" تتناول الرواية دعوة ضد الشعبوية والفرعونية

والفنيقية ولا تروى إدانة في علاقة الطالب بالاستعمار الفرنسي، وهذا هو الفرق الجوهرى - على ما يبدو - بين الرواية في المشرق والرواية في المغرب - خاصة الجزائر - وذلك من حيث إدانة المستعمر وكل ما يمثله من رموز.

ومن هنا فالرواية تؤكد على مفهومين:

1- المصالحة: يظهر ذلك عن أنه في بداية رحلته يريد القبطية مع بلاده " لا. أرجوك، لا موجب للعناق يجب أن نفلح عن هذه العادة الشرقية السخيفة " لكنه بعد انقطاع علاقته بجانين يعود إلى أمه ليصالحها. فالمصالحة مع المرأة العربية ممثلة في " جانين " مستحيلة، أما مصالحته مع أمه فتأتي كنتيجة لمصالحته مع واقع بلاده.

2- العلاقة العابرة بالغرب: فالعلاقة مع الغرب، هي علاقة عابرة علاقة تماس لا تهدف سوى إلى تأكيد الذات، وبعدها العودة للمشروع في الثورة القومية التي تكشف المسار الذي تأتي ضمنه، هذه العلاقة العابرة لا تتوقف عند المرأة بل تتجاوزها لتصل إلى الذات.

يلاحظ على الرواية ميلها إلى المضمون الرومانسي الذي عطل حركة التفاعل مع الغرب وإنهاء العلاقة مع " جانين " بشكل ميلو درامي أفقد الرواية نوعاً من حرارتها التي كان من الممكن أن تحتويها.

المجرة الجديدة: لا يمكن الحديث عن الرواية " الحضارية " أو " تجنيس العلاقات الحضارية " بين الشرق والغرب دون الحديث عن رواية " موسم الهجرة إلى الشمال " للطيب صالح لأسباب متعددة:

- لأنها تمثل تجربة أكثر وعياً ونضجاً. 25
- ولأنها استفادت من التجارب السابقة في هذا الموضوع.
- ولأنها بعد ذلك استطاعت أن توظف الكثير من إنجازات التقنية الروائية العالمية والأوروبية على الخصوص.
- ولأنها استطاعت أن تطرح وتتجكم في مضامين العلاقة التي تحكم تجنيس العلاقات الحضارية من منطلق الشرق والغرب.

تطرح الرواية العلاقة مع بريطانيا الثقافة، وبريطانيا السياسية، وهي بذلك تتجده اتجاهها آخر صوب عاصمة متروبولية (استعمارية)، أخرى لها لغتها وثقافتها وطريقة استعمارها للشعوب.

إن الرواية تريد أن تقول:

- رفض المصالحة مع الواقع الثقافي من منظور الثقافة المتروبولية.
- نقض المصالحة مع الواقع السياسي الاستعماري.

تنطلق الرواية من السودان لتنتهي أحداثها في السودان، ولكن بين الانطلاق والعودة يجرينا السرد الروائي عن طريق - الراوي - تجربة مصطفى سعيد وتاريخ علاقته به، لان الراوي عاش تجربة عشاق لتجربة مصطفى سعيد في أوروبا لكنه ملتصق بواقعه وتاريخه أكثر وهو في توافق مع محيطه.

تعج الرواية بالرموز والإشارات التاريخية والعلاقات الرموز إليها عن طريق احتكاك " البطل " بغيره من النساء الغربيات خاصة - ليتحقق له الأخذ بالتأر القديم " جنتكم غازيا ... ولكن - ... " ومن جمهور مجاره كان يتخبر ضحايا ليله "آن همد" كانت طالبة تدرس اللغات الشرقية، "شيليا غرينود" كانت خادمة في مطعم، و"إيزابيلا سيمور" فرنسية اصطادها في ركن الخطباء في حديقة "هايد بارك"، وجين مورس التي طاردها ثلاث سنوات وعندما تزوجها واقترب منها تمتعت له واحتقوته... "إيزابيلا سيمور" متزوجة وتعلق بمصطفى سعيد .. إن القاسم المشترك الذي يجمع أحداثا كثيرة في الرواية هو: الموت - كما سنرى -

تقول له " زوجته " جين مورس بعد أن تمتعت له:

"هذه الليلة لك أنت وحدك، أنا انتظر منذ وقت طويل"²⁶

فيما يتاجي مصطفى سعيد نفسه حين تقول له أيضا:

" هذه الليلة ليلة الصدق والمأسة "²⁷ وقتلها.

إن ما يمكن استخلاصه من هذه الحادثة وهذا المشهد أن: "جين مورس" تمثل أوروبا الشابة في عنفوان شبابها وقوتها: فهي التي تقرر شروط الحرب والسلام وظروف الاستسلام والخصام كما أنه يمكننا أن نقمهم أن جريمة القتل وحدها هي التي تحمل للطرفين شيئا من الإحساس بالصميمية واللذة المشتركة.

مصطفى سعيد كان عالماً و"جين مورس" كانت عالماً، ولم يكن بين هذين العالمين من سبب غير الصراع والعنف. لأنه لم تكن هناك طريقة أخرى لامتلاك "جين مورس" غير اغتيابها. مثل هذه المشاركة المطلوبة أو التي يفترض أن تكون بين هذين العالمين (الشرق والغرب) معدوم في تاريخ العلاقة بأكملها، فكان الطرفين لا يلتقيان إلا على حافة الموت، حين يهلك أحدهما الآخر، وسرى بعد ذلك أنه كلما تعمق فعل الموت بينهما تعمقت المشاركة: " وضعت الخنجر بين يديها ... ضغطت ببطء فتحت عينها، أي نشوة في هذه العيون؟ وبدت لي أجمل من كل شيء في الوجود. قالت بآلم: يا حبيبي ظننت أنك لن تفعل هذا أبداً كدت أياس منك"²⁹

وللحظة نتوهم أن مصرهما مشترك فتسعى لأن تجره إلى الفناء بعد أن عجزت عن تدبير هلاكه " وضغطت الخنجر بصدري... وأخذت أدعك صدرها بصدري وهي تصرخ متوسلة: تعال معي تعال. لا تدعني اذهب لوحدي"³⁰ لقد كانت بما شهوة الموت لما جعل مصطفى سعيد يقرر: " غرفة نومي ينبوع حزن، جرثوم مرض فثاك، العدوى أصابتني منذ ألف عام، لكنني هيجت كوامن الداء حتى استفحل وقتل"³¹ يقول "مصطفى سعيد" ذلك وهو يتذكر ثلاث نساء اتحنن في حبه: فئاتان هما آن همند وشيلا "غرينود" وسيدة متزوجة هي "إيزابيلا سيمور"، غير أنه لا يدان بانتحارهن، فأستاده البروفسور ماكسويل، يقول في الدفاع عنه في المحكمة: " ومضى البروفسور ماكسويل يرسم صورة فريدة لعقل عبقرى دفعته الظروف إلى القتل، في لحظة غير وجنون ... وروى لهم أن آن همند وشيلا غرينود كانتا فئاتين تبحتان عن الموت بكل سبيل وأنهما كانتا ستنتحران سواء قابلتا مصطفى سعيد أو لم تقابلاه"³¹.

ويعلل البروفسور ذلك بتحليل مبذل لكثرة استعماله " مصطفى سعيد يا حضرات الخلفين إنسان نبيل استوعب عقله حضارة الغرب، لكنها حطمت قلبه، هاتان الفئاتان لم يقتلها مصطفى سعيد ولكن قتلها جرثوم مرض عضال أصابهما منذ ألف عام"³² فماذا حدث قبل ألف عام؟ ما تلك الجرثومة؟ ما ذلك المرض العضال؟ إن المرض مرض أوربي والجرثومة جرثومة " العنف الأوربي" وقبل ألف عام عرض العنف الأوربي أول تظاهرات: الحملات الصليبية تليها بعد ذلك الحملة الاستعمارية الحديثة (مع ملاحظة أن أوربا لم تكن كلها استعمارية...).

ويلخص مصطفى سعيد مسلكه تجاه الغرب بأنه جزء من مسلكتهم التاريخي، وأنه يقوم برد الفعل والنار ليس إلا.

"البواحر محترت عرض البحر أول مرة تحمل المدافع لا الحيز، وسكك الحديد أنشئت أصلاً لنقل الجنود. وقد أنشأوا المدارس ليعلمونا كيف نقول " نعم " بلغتهم، إنهم جلبوا إلينا جرثومة العنف الأوربي الأكبر الذي لم يشهد العالم مثله من قبل في السوم وفي فردان. جرثومة مرض فتاك أصابهم منذ أكثر من ألف عام: نعم يا سادتي، إنني جتكم غازيا في عقر داركم. قطرة من السم الذي حقنتم به شرايين التاريخ، أنا لست عطيلًا، عطيل كان أكذوبة"³³، هذا المقطع المطول نوعاً ما يلخص نظرة مصطفى سعيد إلى الغرب حيث يقلب الأمور ويغزو المستعمر في عقر داره ويحاول الأخذ بالنار - بطريقته طبعاً - ويحاكم المستعمر ويكشف أسراره أثناء محاكمته هو.

إن لغز الرواية هو الموت بينه مصطفى سعيد حيثما حل وأتى رحل، من الإنجليزية فالتحرن أو قتل، ثم غادر إنجلترا بعد أن خرج من السجن وأقام في قرية نانية في السودان، وتزوج امرأة وأنجب طفلين ثم غرق في نهر النيل في ليلة من ليالي فيضانه الصيفي، ولكننا نفاجاً بأنه ترك وصية جعل فيها " الراوي " وصياً على الطفلين، باعتبارها كان في إنجلترا ثم تعرف زوجته بأنه قبل موته بيومين استدعاها وأوصاها خيراً بالولدين وجمع ديونته ورتب أموره. فهل غرق؟ أم انتحر؟ أم رحل؟ إن جتته لم تنتشل من النهر، ولا أثر يدل على موته. ولكن عجوزاً يخطف الأرملة ويوسط لها " الراوي " الوصي فتقول الأرملة للراوي: " إذا أجبروني على الزواج فإني سأقتل واقتل نفسي " وهكذا يكون لقد أضاف مصطفى سعيد إلى قائمة ضحاياه ضحيتين أخريين ... وليس هذا فقط بل إن " الراوي " المتصف ذاته يكتشف أنه أحب الأرملة واهتز لمقتلها، فيلقي بنفسه في النهر لكي يتخلص بالسباحة من هواجسه، فنكتشف أنه قام بعمل انتحاري، وحين يكتشف هو الآخر ذلك يشحذ كل عزيمته للتشبث بالحياة ومصارعة أمواج النهر العظيم.

ومن هنا كان لنا أن نستخلص أن:

- مصطفى سعيد وهو حين يروي حكاية سفره إلى أوروبا فإنه يعتمد التذکر -
الغلاش باك - المونولوج الداخلي - تدمير الفواصل الزمنية - إنه بناء لا منطقي لأنه نتيجة علاقة لا منطقية.

يذهب أحد الكتاب إلى نقد هذا الطرح اعني حصر الصدام بصورة رومانسية في إطار " فرد " هو البطل في كل الروايات. فرد شرقي يعاني صدمة حضارية مرة أو مرتين في العمل الروائي، مرة حين يظل مؤقتاً في الغرب - سنوات - ومرة حين يعود إلى الشرق بمكتسباته النفسية والعقلية يقضي بقية عمره

لقد حاولت في روايتي " رواية أصوات والحديث لسليمان فياض نقل تجربة الصدام ... من دائرة الفرد إلى دائرة المجموع"³⁵ ويقصد بذلك عكس خط السير من أوروبا إلى الوطن وجعل " الآخر " ينتقل إلى العيش في الوطن العربي كما في " أصوات " وقد رأينا قبل هذا كيف عاج الروائي الجزائري هذه القضية في الرواية المكتوبة بالفرنسية كما في رواية " الرب في بلاد البربر " محمد ذيب حيث شخصية " جان ماري اعمار " أستاذ الرياضيات في الجزائر - بعد الاستقلال - وكذا في رواية التليذ والدرس لمالك حداد حيث توى صورة " الحاكم " الإداري ديبلوماسياً لبقاً لا يجري وراء الفتيان أو الفلاحين المضربين عن العمل بل يسعى لاحتواء طيب هو المثل الأعلى للمدينة.

ثالثاً: الجفاء والتباعد وسوء التفاهم: يلاحظ الدارس للروايات الثلاث (ولأغلب الروايات التي تتناول موضوع العلاقات الحضارية) أنها تنتهي دائماً بسوء تفاهم حاصل من اختلاف النظرة إلى الآخر.

فمحسن في عصمتور الشرق يخرج خانيا من علاقته مع سوزي وإيفان أيضاً ويجد خلاصه في " شقيقته " وفي السيدة زينب وبطل " الحي اللاتيني " لا يعترف بينوة طفله ويعود إلى الوطن ليتصالح معه ومع أمه ويبدأ رحلة البناء القومي مع صديقه " فؤاد " معتمداً على وسائل " غربية " ...

ومصطفى سعيد بطل موسم الحجرة إلى الشمال ينتهي في النيل غرقاً ... وهكذا يحجم على رواية " اللقاء الحضاري " نوع من القاجعة أساسها سوء التفاهم الحاصل بين الطرفين. ويعدد " محي الدين صبحي " في كتابه " عوامل من التخيل " 36 ثلاثة أمثلة لهذه الظاهرة، ويصل إلى نتائج هامة من خلال تحليله لشخصية " عطيل " لشكسبير فعتيل قائد مغربي يعمل في جيش فينيسيا يقتل زوجته ديدمونة بدافع الغيرة ليكتشف فيما بعد براءتها وأنه أساء فهم تصرفاتها وتعبيراتها.

وكذلك العلاقة بين مصطفى سعيد وحين مورس التي تنتهي بالموت الحاصل من سوء التفاهم وانعدام شروط التلاقي بينهما. أما المثال الثالث فهو في رواية "الغريب" لألبير كامي بطل الرواية "ميرسو" يقتل شابا جزائريا بالمسدس ولم يكن بينه وبين الشاب أي خصام أو مشكلة ولكن "ميرسو" يقوم بفعله تلك عندما رأى الشاب الجزائري يحمل في يده مُدْيَةً، استلها من جيبه عندما تعارك مع احد أصدقاء "ميرسو" الذي كان على علاقة بأخته ويتشاجر ان. إن الشاب الجزائري وقف مستلا مُدْيته لكنه لم يهجم على "ميرسو" ومع ذلك يشهر "ميرسو" مسدسه ويطلق النار على الشاب فيقتله.

وحين يسأل "ميرسو" عن سب جرمته "يجيب": "الشمس هي السب!"

هذه الشمس هي شمس جزائرية تشع على ارض جزائرية في إفريقيا ولا يحتمل هذه الشمس أو يتأمل معها غير الجزائري، أما الأوربي فيشعر أنه غريب على هذه الشمس، غريب عن هذه الأرض، إن الطبيعة والإنسان يرفضانه، لهذا فهو سريع الإحساس بالقرع - سريع اللجوء إلى السلاح.

وفي النهاية إن غضب الفنى الجزائري، وفرع الفرنسي: عناصر صدام حضاري لا بد أن يؤدي إلى جريمة.

إن الروايات الثلاث تصل إلى نتيجة واحدة مع بعض الفروقات:

- 1- القبول بحضارة العرب مع رفض مقدماتها "التقدم العلمي - الصناعة ..." الحكيم.
- 2- النضال القومي عبر ربطه بالتأثر بالثقافة الغربية "سهيل إدريس"
- 3- الوصول إلى الهدوء بعد انتهاء صدمة العلاقة بالغرب أي الوصول إلى اخذ منجزاته من موقع الثبات "الطيب صالح".

ويظهر مما تقدم أن العناصر السابقة هي تنويعات لسألة واحدة، مسألة هضم الحضارة الغربية، دون المرور بمراحلها المختلفة، أي الصراع معها دون الوصول إلى القطيعة يمكننا بعد ذلك أن نقدم ملاحظتين هامتين بعد هذه الرحلة مع "الرواية الحضارية".

- 1- الاتجاه العام الذي سارت فيه الروايات والقصص الحضارية، التي حاولت التعبير عن صدام الحضارات، صدام الشرق والغرب عن طريق حصره في لقاء الروح والمادة، ذاتية الشرقيين وبحورهم وموضوعية الغربيين وعلمانيتهم؛ وهذا مذهب ذهب إليه كتاب

الغرب سابقا من أمثال " فولنير وقلوبير " فكان الشرق لم يتأثر أدنى تأثر بالتيارات الحضارية التي تسود العالم وتزحف عليه من عصر النهضة .

2- إن روايات الصدام الحضاري المكتوبة في الرواية العربية تبدو من أنتضج ما كتب من الروايات، وذلك من خلال آراء بعض النقاد وكتاب الروايات أنفسهم 37.

3- لا يقتصر الإنتاج الروائي " الحضاري " على الروايات السابقة المذكورة بل يتعداه إلى غيره (مثل قنديل أم هاشم ليحيى حقي، الأشجار واغتيال مرزوق لعبد الرحمن منيف وكذلك أغلبية الروايات التي تتناول اللقاء الحضاري داخل الوطن مثل: " وداعا يا أفاميا " لشكيب الجابري " البيضاء " ليويس إدريس، " قاتل محترف " لمطاع صفدي، " وشتاء البحر الياوس " لوليد إخلاصي، ويتنوع " الآخر " في هذه الروايات الأخيرة من البلجيكي إلى اليوناني إلى السويسري، والإيطالي والتنويه هنا موجه إلى التجربة الفلسطينية خاصة.

تجدر الإشارة إلى أن الرواية العربية " الحضارية " قد اتجهت اتجاهها آخر مغايرا للاتجاه التقليدي (أي محور باريس، لندن) واتجهت صوب الغرب الأوربي " الاشتراكي " بعد عملية تفاعل طويلة يرجع تاريخها إلى أيام المد النحوري " الثوري العربي " إبان مرحلة الكفاح والنضال ضد القهر الأوربي " الغربي " .

ظهور نوع جديد من الأبطال، حيث لم يعد فقط " طالبا " متجها صوب الغرب للدراسة، وبرز هنا خاصة البطل المناضل المثقف، المهزوم في وطنه أو المنفي عنه " شرق المتوسط"، الأشجار واغتيال مرزوق لعبد الرحمن منيف .

يلاحظ على رواية " اللقاء الحضاري " في الغرب الاشتراكي - خارج الوطن - محدوديتها من الناحية الكمية.

كما يلاحظ عليها أيضا سيطرة العواصم الإيديولوجية الكبرى للاشتراكية (روسيا تشيكوسلوفاكيا سابقا، يولونيا، الجبر وإذا تعدته فإلى بكين العاصمة الصينية " .

لا يقدم هذا التوجه الجديد للرواية الحضارية أي جديد بالنسبة للمضمون الروائي ولا شكله إلا ما كان من الفكرة الأساسية ألا وهي أن العلاقة بين الطرفين (الشرقي والغربي الاشتراكي) لا تبدو عدائية، قصورة " بودا بست " العاصمة التجارية ليست كما ظهرت في روايات باريس ولندن، لأنه ليس هنالك ما يؤدي إلى توتر الصواع وتطوره ليصل إلى العداوة والتنافر إلا ما يظهر من علاقة الأبطال بالنساء من الجانب العاطفي.

تظهر رواية "الضفة الثالثة" لأسعد محمدي، العراقي والتي تدور أحداثها في "المجر" وبطلها طالب يدرس الموسيقى.

ورواية "الربيع والخريف" لخامنه التي تدور أحداثها بين "الصين، المجر، النمسا" ولكن حضور "المجر" أكثر من حضور الدول الأخرى وكذا الوطن، وبطلها ليس طالبا ولكنه سياسي هارب من الوطن وعصامي، فهو كاتب ويدرس الأدب العربي في الجامعة ويعمل بالقسم العربي لإذاعة يوداييست ... وليس له شهادات.

تعتبر هاتان الروايتان رائدتان فيما يتعلق باللقاء الحضاري مع الغرب الاشتراكي خارج الوطن. ولعل الاقتباس التالي يلخص الفكرة العامة للقاء الحضاري مع الغرب في الرواية الحديثة ويوضحها على أكمل وجه.

"وقد ظهر في هذا القرن البطل العربي الذي "يعزو" أوروبا طلبا للعصا السحرية الحديثة "العلم"، وهناك يلاقي البطل مساعدة الأميرة، ويعرف المرأة، ويتغلب على الشخصية الشريرة ويعرف مساوي مجتمعه. وقد يتذوّت البطل في فحولته الجنسية فيكون انتصارها انتصاره..... ويتذوّت البطل، من جهة أخرى، في اللاوعي العربي الجماعي، وفي الوعي الجماعي العربي، فيحاكم أوروبا ويلقي أحكاما قيمة على حضارتها بموجب ذلك اللاوعي وتلك التصورات العربية عنها، ومهما يكن فإن البطل العربي الذي يترك البيت "الوطن"، ويذهب للبحث عن الأميرة "العلم" في البلاد المجهولة المعادية "أوروبا" يجسد وجود التوتر في الحضارة العربية بل وانجرافات كثيرة تبحث عن استعادة التوازن، ويكون خفض ذلك التوتر متمثلا في الرحلة إلى البعيد الغريب، إلى حيث العدو المجهول، بحثا عن الكثر، ويقتل الغول أو الرصد الذي هو الجهل ... والمرض والانتقار"³⁸.

إذا كانت روايات اللقاء الحضاري مع الغرب تنحو هذا المنحى، فهل كانت رواية "المرفوضون" لإبراهيم سعدي (الشركة الوطنية للنسر والتوزيع، الجزائر 1981) تقصد البحث عن الأميرة أم كانت تبحث عن الكثر؟ ما كانت "المرفوضون" قصدا ولا هي تقصد كل ذلك إنما هما وهم "بطلها" هو البحث عن لقمة العيش ممثلة في العمل.

إذ يعتبر اللقاء الحضاري مع الغرب بالنسبة لبلدان الشمال الإفريقي "خاصة مع فرنسا" هاجسا أساسيا، كما أن القضية "تشغل الخطاب الفكري عامة... سواء فيما كتب من تلك النصوص باللغة الفرنسية أم باللغة العربية"³⁹.

وبناء عليه فإن الرواية المغاربية - وخاصة الجزائرية - تتجه اتجاهها مغايرا لميلتها في المشرق بفعل عوامل تاريخية استعمارية قديمة وحديثة وعوامل جغرافية بحكم الجوار وما يلحق ذلك من تبعات بحكم هذين العاملين.

ففي أي اتجاه تتجه رواية " المرفوضون " بالنسبة للرواية العربية " الحضارية "؟ يتمثل اتجاهها في تعميمها الصراع النفسي لدى الشخصيات الأجنبية في الرواية في علاقتها بأحمد (المغرب الجزائري)، وإظهار عقدها ومواقفها تجاه كل ما هو جزائري بناء على حقد دفين لا يبرح محبلة اغلب الشخصيات (ماري، ليما جان...) التي مازالت تسفي حياتها على " وهم " الجزائر فرنسية.

ولم ينس الكاتب في المقابل استغلال هذه الرواية ليخرج من هذا المحتنع " ممنوع " الرواية طبعاً الموبوء شخصيات ذات بعد إنساني تتجاوب مع " أحمد " كصاحبة العمارة " سوزان "، وكذا " برنار " زوج " ماري " الذي قتله " جان " في الجزائر وادعى أن الجزائريين هم الذين قتلوه، نعرف عزوفه عن العنف من خلال الرسائل التي يرسلها إلى زوجته " ماري " ومن خلال التداعي والحوار الحاصل بين " ماري " و " جان "... وهكذا استطاع الكاتب أن يكسب القراء إلى صفه في جلب العطف لأحمد وكذا الاقتراب النفسي من شخصية " برنار " الغائب الحاضر وكذا شخصية "سوزان" التي تشفق على "أحمد" دون أن تظهر ذلك.

إن باقي شخصيات الرواية " عدا سوزان " تتلخص مواقفها بالرفض والاحتقار وعدم رغبتها في عقد مصالحة معه (أي مع أحمد) وعدم السماح له بمباشرة حياة عادية، على الرغم مما بذله في سبيل ذلك...

إن رواية " المرفوضون " تدخل ضمن إطار الروايات التي تدور أحداثها في أوروبا (فرنسا) ولكنها تختلف عن الروايات السابقة لها سواء في شمال إفريقيا أو في المشرق يتمثل ذلك في:

- أنها تقدم وجهها جديدا لأوروبا (فرنسا)، عاجلته روايات كتاب المشرق معالجة فكرية " وكذا كتاب المغرب " الذين صوروا لنا الصورة التي اعتدناها عن أوروبا. العلم والفن والحضارة والثقافة والمدنية التي كانت شائعة في الرواية العربية التي تدور أحداثها في أوروبا.

- أما تختار لنفسها متنها آخر تختلف به عن كل الروايات الجزائرية - تقريبا - ويمثل ذلك في خلق عوامل داخلية مختلفة وبتداخلة. نظير لنا الشخصيات " الفرنسية " من خلالها. وهي تعاني من تأزيمات نفسية حادة من الداخل، وفي صراع قوي بينها وبين الإنسان الجزائري من الخارج.

- اختارت محيطها من محيط العمال المهاجرين المعترين بفعل الفقر وفقدان فرص العمل في الوطن ومن هنا كان لراما عليها أن تختار " بطلها " من هذه الطبقة فجاء " عاملا " بسيطا أما عكس الرواية العربية التي سبقتها ومن ثم قلنا سبق في طرق هذا الموضوع " البطل العامل " إذ كان بطلها - غالبا - متقفا - أو طالبا. فعملية المناقشة هنا لا يمكنها أن تتحقق على الأقل كما كان يتصورها رواد هذا الاتجاه.

- أما خالفت الروايات الأخرى في أنها لم تنقل شخصياتها من بيتها إلى البيعة الجزائرية. بل أبقتها في بيتها الحضارية. ثم حاولت أن تصور تفاعلاتها وعلاقتها مع الإنسان الجزائري - أحمد - .

سفس - "أما من أغنى الروايات الجزائرية في تواجد النموذج " الفرنسي " إذ تكاد تكون كل شخصياتها أجنبية⁴³.

- أما استطاعت أن تعبد إلى السطح عنف الحضارة الغربية ورغبتها في السيطرة وإتمامها بالتعالي الجنسي. وهو جانب من الحضارة الغربية أشار إليه الكتاب السابقون في الرواية العربية من حيث هو جزء من السبب الفكرية والسياسية هذه الحضارة. ولكنهم لم يركزوا عليه هذا التركيز الذي في رواية "إبراهيم سعدي" ولم يجعلوه الملصق البارز.

لقد كان عامل الاحتياج المادي والقيهر السياسي. والظلم الاستعماري الممارس على الشعب الجزائري من أهم العوامل التي دفعت بالجزائريين إلى الهجرة. إما إلى المدن المجاورة داخل الجزائر أو إلى فرنسا. التي شجعت تلك الهجرة للاستفادة من اليد العاملة الرخيصة في المجالين العسكري والاقتصادي ولم يلق هؤلاء المهاجرين من المجتمع الفرنسي إلا الجحود والحقد والكراهية التي لا مسوغ لها إلا التعالي الجنسي. إزاء قوم كان من حقهم أن يحملوا للفرنسيين الحقد والكراهية مقابل ما مورس عليهم وعلى شعبيهم من تفقير وتجويع وتشريد وحب للخيرات. ثم إننا نجدهم يشاركون في بناء الاقتصاد الفرنسي بأقل عبء وأقل تكلفة.

بِمَارَسُ العَالِي الجَنَسِي وَالتَفْرِقَةُ العَنَصَرِيَّة عَلَي كُل مَا هُوَ مَغْرَبِي " شَمَالِ إِفْرِيقِي " وَبَعْدَهُ إِلَى كُل مَا هُوَ إِفْرِيقِي " زَنْجِي " وَإِلَى كُل مَا هُوَ عَرَبِي ثُمَّ إِلَى كُل مَا هُوَ "عَالَمَاتِي"!!
 إِن الحَقْد وَالكِرَاهِيَّة الَّتِي يَكْهِنُهَا الفَرَنْسِيَّونَ " لَيْسَ كُلَّ الفَرَنْسِيَّينَ " لِكُلِّ مَا هُوَ جَزَائِرِي يَعُودُ إِلَى التَضَحِيَّاتِ الَّتِي قَدَّمَهَا الشَّعْبُ الجَزَائِرِي فِي سَبِيلِ اسْتِقْلَالِهِ لِيَحْتَمِ بِذَلِكَ مَشْرُوعَ: الجَزَائِرِ فَرَنْسِيَّةٍ وَيَحْتَمِ حَلْمَ الكَثِيرِ مِنْ " الأَقْدَامِ السُّودَاءِ " وَأَصْحَابِ الأَعْمَالِ وَالمَعْمَرِينَ.

وَقَدْ انْتَقَلَ مَوْضُوعُ الأَعْتِرَابِ وَالمُجَرَّةُ إِلَى القِصَّةِ وَالرِوَايَةِ حَيْثُ عُولِجَ بِشَكْلِ مِتَقَاوَتٍ مِنْ حَيْثُ اسْتِخْدَامِ الوَسَائِلِ الفَنِيَّةِ، " فَبَعْضُ الكِتَابِ اكْتَفَى بِالتَّسْجِيلِ الوَثَائِقِي لِوَاقِعِ المُجَرَّةِ. فِي حِينٍ وَقَفَ كِتَابُ آخَرُونَ عَلَى الجَانِبِ الأَهْمِ وَهُوَ البَعْدُ الإِنْسَانِي لِهَذِهِ القِصَّةِ " ١١.

وَلَقَدْ رَكَّزَ عَلَي مَا يَعَانِيهِ الجَزَائِرِيُّونَ فِي المُهْجَرِ مِنْ مَعَامَلَةِ سَيِّئَةٍ. وَمِنْ مِمَارَسَةِ شَتِي وَسَائِلِ التَّيْمُرِ مَعَهُمْ. عَلَي نَحْوِ يَدْفَعِيهِمْ فِي النِّهَايَةِ إِلَى الاسْتِسْلَامِ لِلإِحْسَاسِ بِالعَرَبِيَّةِ أَوْ العُودَةِ خَالِبِينَ إِلَى الجَزَائِرِ.

لَقَدْ اتَّخَذَتْ هَذِهِ الرِوَايَاتُ أَفْرَادَ الطَّبَقَاتِ المَعْمُورَةِ نَمَازِجَ لِأَنَّهَا تَحْمِلُ فِي طَيَّاقِهَا أبعاداً خَاصَةً. وَكَانَتْ شَخْصِيَّةً " العَامِلِ " هِيَ الَّتِي تَتَصَدَّرُ هَذِهِ النَّمَاذِجَ لِلإِشَارَةِ الخَفِيَّةِ إِلَى النِّهَاجِ الإِسْتِرَاكِي وَالأَلْتِمَازِ بِقَضَايَا الجُمَاهِيرِ الكَادِحَةِ مِنْ فَلَاحِينَ وَعَمَالٍ...

هَذَا المَذْهَبُ الَّذِي نَادَى أَنْصَارُهُ مِنَ الأَدْبَاءِ وَالنَّقَادِ وَالفَنَانِينَ وَرِجَالِ الفِكْرِ بِمِرَاعَاةِ الطَّبَقَةِ العَامِلَةِ وَالتَّرْكِيزِ عَلَي مُشْكَلاتِهَا بِصِفَةِ خَاصَّةٍ، وَهَذَا بِالتَّضَبُّطِ مَا فَعَلَهُ " إِبْرَاهِيمُ سَعْدِي " فِي رِوَايَتِهِ " المَرْفُوضُونَ ".

الغائمة:

إِن المُنْتَبِعَ لِرِوَايَةِ المِوَاجِهَةِ الحَضَارِيَّةِ لَا يَدُ أَنْ يَلاحِظَ التَطَوُّرَ الحَاصِلَ فِي مَسَارِهَا مِنْ النَاحِيَةِ الفَنِيَّةِ وَالفِكْرِيَّةِ وَلَكِنْ هُنَاكَ قِوَاسِمٌ مُشْتَرِكَةٌ لَا زَالَتْ تَتَكَرَّرُ عَلَي النَحْوِ الَّذِي رَسَمَهُ الأَوَائِلُ وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى إِنْ الظَّاهِرَةِ ظَاهِرَةِ الصِّرَاعِ مَعَ المَغْرِبِ مَا زَالَتْ بِنَفْسِ الحُدَّةِ يَلُ تَعَاظِمُ شَأْنَهَا فِي السَّنَوَاتِ الأَحْمِرَةِ مِمَّا حُدِيَ بِبَعْضِ الكِتَابِ إِلَى الإِنْتِغَالِقِ عَلَي الذَّاتِ وَتَكَرَّرَ المَوْضُوعَاتِ القَدِيمَةِ (المُتَجَدِّدَةِ) فِي أَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ إِذْ تَشْتَرِكُ هَذِهِ الرِوَايَاتُ فِي:

- أن البطل المعبر عن الذات العربية وحضارتها، يغلب عليه " المتغف " و " الطالب " في المرتبة الثانية.

- ظهور نموذج جديد هو: " العامل المغترب " خاصة في الرواية المغربية.

- تلعب المرأة الغربية في " الرواية الحضارية " دورا بارزا، إذ تمكنت الأنثى (البطل المضاد) التقاطب مع البطل (المتغف العربي) لكشف زيفه وتفاهته وجهله و كفته، وفي المقابل تمتلك هي ذكاء حادا وحقدا وحضارة.

- المرأة الغربية كانت محكا لكل الأبطال في روايات المواجهة الحضارية حيث يقبل كل الأبطال في اجتياز الاختبار (مصطفي سعيد بحاكم ثم يعرق في النهر، محسن يصاب بالإحباط، بطل الحى اللاتيني يغدر بالطللة ويعددها بالزواج ولكنه يعود إلى وطنه هاربا من المرأة. أحمد في رواية المرفوضون ينتحر... الخ).

- انتقال الأحر للعيش في فضاء عربي مكن الرواية من نظرة جديدة أعطت لها دفعا جديدا.

- ظهور نوع من المهادنة في الروايات المشرقية تجاه الغرب ، وإدانة واضحة في روايات الشمال الإفريقي للغرب الاستعماري خاصة-.

- أغلب روايات المواجهة الحضارية مع الغرب هي عبارة عن تجارب ذاتية لأصحابها خاصة الروايات الأولى-(عصفور من الشرق ،الحى اللاتيني ، موسم الحجرة إلى الشمال).

الهوامش والإحالات:

1- عبد احميد حنون، صورة القرني في الرواية العربية،ديوان المطبوعات الجامعية، 1986 ص 05

2- إبراهيم سعدي - المرفوضون - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر 1981 ص 96

3- جورج طرابيشي -شرق وغرب- رجولة وأثونة - دار الطليعة، الطبعة 1 افريل 1977 ص 10

4- محمد نجيب التلاوي- الذات والمهاجر دراسة التقاطب في صراع روايات المواجهة الحضارية الحية المصرية العامة للكتاب 1998 ص 7.

5- دكتور نجيب التلاوي، الذات والمهاجر مرجع سابق ص 08

6- محي الدين صحي،عوامل من النخيل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1974 ص 33

- 7- نبيل سليمان، وعي الذات والعالم، دراسات في الرواية العربية، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، الطبعة 1، 1985 ص 6
- 8- نبيل سليمان، وعي الذات و العالم مرجع سابق ص 08
- 9- جورج طرابيشي، شرق وغرب رجولة وأثونة، مرجع سابق ص 48.
- 10- عبد المجيد حنون، صورة القوي في الرواية المغربية، مرجع سابق ص 358-359 وما بعدها.
- 11- مصطفى فاسي، البطل في القصة التونسية حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1958 ص 283.
- 12- عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، مرجع سابق ص 308.
- 13- جورج طرابيشي، شرق وغرب، رجولة وأثونة مرجع سابق ص 11
- 14- المرجع السابق، ص 11 - 12
- * ملاحظة: ظهور بعض النماذج الجديدة (كنموذج العامل المغرب) خاصة في الرواية المغربية (المرفوضون لابراهيم سعدي) نموذجاً.
- 15- الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة بيروت، الطبعة الثانية 1969 - ص 36
- 16- د. محمد نجيب التلاوي، الذات والمضمار، مرجع سابق ص 6
- 17- توفيق الحكيم، عصافور من الشرق، دار المعارف 1974 مصر ص 118
- 18- الرواية ص: 14
- 19- الرواية ص 121
- 20- الرواية ص 13
- 21- الرواية ص 153-154
- 22- الرواية ص 152
- 23- الرواية ص 152
- 24- نقلاً عن جورج طرابيشي، شرق وغرب، رجولة وأثونة، مرجع سابق ص 73
- 25- إلياس خوري، تجربة البحث عن أفق مقدمة لدراسة الرواية العربية بعد الحرمة، مركز الأبحاث لخدمة التحرير الفلسطينية، بيروت لبنان، يونيو 1974 ص 23
- 26- الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة - بيروت الطبعة الثالثة 1969 ص 165
- 27- الرواية ص 165
- 28- الرواية ص 167
- 29- الرواية ص 167
- 30- الرواية ص 38

- 31- الرواية ص 36
- 32- الرواية ص 36
- 33- الرواية ص 98
- 34- الرواية ص 34
- 35- نبيل سليمان، وعي الذات والعالم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية الطبعة الأولى 1985 ص 43
- 36- محي الدين صحي، عوالم من التخيل، مرجع سابق ص 33 وما بعدها.
- 37- للتفصيل أكثر في هذه النقطة يراجع كتاب عوامل من التخيل لمحي الدين صحي وكذا كتاب وعي الذات والعالم لنيل سليمان.
- 38- الدكتور علي زيعود، قطاع البطولة والترجمية في الذات العربية - المستعلي والأكبري في التراث والتحليل النفسي، دار الطبعة بيروت، لبنان الطبعة 1 فيفري 1982 ص 75
- 39- نبيل سليمان، وعي الذات والعالم، مرجع سابق ص 7
- 40- بشير بوجيرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية (1970-1983) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1986 ص 193.
- 41- أحمد الأخضر طالب، الالتزام في القصة الجزائرية المعاصرة، ماجستير مخطوط إشراف: الأستاذة د: سهر القنماوي، المكتبة المركزية، جامعة القاهرة قسم الرسائل الجامعية، رقم الرسالة: 3561.